دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الإجرام و المجرمون في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	الفكي، إسماعيل الفكي الرفاعي
مؤلفين آخرين:	محمد، أبراهيم أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2005
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 130
رقم MD:	561719
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، المجرمون ، ألفاظ القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561719

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الباب الثاني

أسباب هلاك المجرمين

ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول : التكذيب بالحق

الفصل الثاني : الظلم

الفصل الثالث : الهوى

الفصل الرابع : ظن السوء

الفصل الأول
التكذيب بالحق

التكذيب في اللغة :

(يقال : كذب كُذَّاباً بالضمّ والتشديد أي متناهياً ، وقوله سبحانه وتعالى : (إنَّ المنافقين لكاذبون)[١] كذَّبهم في أعتقادهم لا في مقالهم ، فمقالهم كان صدقاً)[٢]

من أسباب هلاك المجرمين التكذيب بالحق فقد كذبوا الرسول محمدصلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من الخير والنور فقال تعالى عنهم (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)[٣] ، قال الحافظ عماد الدين ابن كثير ، (يقول المولى عز وجل سبحانه وتعالى : (فإن كذبك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم فقل (ربكم ذو رحمة واسعة). وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم)[٤]

ونسبة لخطورة التكذيب سلكة الله في قلوب المجرمين كما في قوله سبحانه تعالى : (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ *لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ*فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) [٥]

قال ابن كثير (أخبر الله أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى) [١]

---

(1) سورة المنافقون – آية رقم – ١

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أباري – المتوفي سنة ٨١٧ هـ الجزء الرابع تحقيق الاستاذ محمد علي النجار – القاهرة ١٤٢٥ هـ – ١٩٩٢م

(3) سورة الأنعام ١٤٧ .

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير – قدم له الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي – الجزء الثاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة التاسعة ١٤١٧ ﻫ – ١٩٩٧م – صفحة ١٩٣ .

(5) سورة الشعراء – الآيات (٢٠٠ – ٢٠٢)

ويقول ابن كثير في موضع آخر (يقول الله سبحانه وتعالى كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي أدخلناه في قلوب المجرمين (لا يؤمنون به) أي بالحق (حتى يروا العذاب الأليم) أ يحيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللغنة ولهم سوء الدار). [٢]

قال الزمخشري في تفسير قوله سبحانه وتعالى (فإن كذبوك) (في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جوداً وكرماا ص (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لأهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته) [٣]

ولقد حكى الله سبحانه وتعالى عن سبب هلاك المجرمين بأنهم كذبوا بالرسل الذين جاءوا بالبينات كما في قوله سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ }.)[٤]

قال الزمخشري (والمعنى : أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء

---

[١] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير – قدم له الدكتور يوسف المرعشلي – الجزء الثاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة التاعسة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م – صفحة ٥٦٧ .

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير – الجزء الثالث – صفحة ٣٤٨ – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .

[٣] تفسير الكشفا عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف الإمام أب يالقاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) المجلد الثاني – صفحة ٥٨ – دار الفكر – المكتبة التجارية – لصاحبها مصطفى أحمد الباز .

[٤] سورة يونس – رقم الآية ١٣ .

يعني الإهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم) [١]

والتكذيب كان سبباً لهلاك المجرمين فلهذا طلب الله سبحانه وتعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقل لكفار قريش أن يسيروا وينظروا في عاقبة المجرمين كما في قوله سبحانه وتعالى : (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) [٢]

قال ابن كثير في الآيات السابقة : (هذه تسلية من الله سبحانه وتعالى لعده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات ، ولكن أنتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين)[٣]

وذكر الله سبحانه وتعالى سبب العذاب للمجرمين في قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [٤]

قال ابن كثير (يقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عن الأمم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (أكم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أي خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم)، أي وخيم تكذيبهم وردئ أفعالهم وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي (ولهم عذاب

---

[١] تفسير الكشفا عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف الإمام أب يالقاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) المجلد الثاني – صفحة ٢٢٨ .

[٢] سورة النمل – الآيات (٦٩ – ٧٠)

[٣] تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – الجزء الثالث – صفحة ٤٣٦ ، الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م ،

[٤] سورة التغابن – الآيات (٥ – ٦)

أليم) أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي ثم علل ذلك فقال : (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا) أي أستبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم (فكفروا ...) أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل) [1]

ومن الكذب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون كما في قوله سبحانه وتعالى : (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) [2] قال الزمخشري عن المجرمين (ولم يجدوا له مرداً ولا مدفعاً لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم ، فأخلدوا إلى البهت وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنوب واسحر والشعر)[4]

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : (فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[5]

قال الزمخشري (فإن قلت : كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد ، وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء ؟ قلت : إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض ، كأنه قيل : حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به ، وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدرة

---

[1] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ٣٧٤ – الطباعة (١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م) الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان .

[2] سورة المؤمنون – آية رقم ٧٠ .

[4] تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف الإمام أب يالقاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزَّمخشري – المجلد الثالث – صفحة ١٩٠ .

[5] سورة الشعراء – آية رقم ٦ .

وصار عرضة للأستهزاء والسخرية ، لأن من كان قابلاً للحق مقبلاً عليه كان مصدقاً به ، كان موقراً له) [١]

ومن أسباب هلاكهم عدم الركوع لله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ *كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ *وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُونَ) [٢] قال ابن كثير في الآية السابقة ٤٠ : (كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون)* خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال الله سبحانه وتعالى : (كلوا وتمتعوا قليلاً) أي مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أي (ثم تساقون إلى نار جهنم) [٣] ومن صفات المجرمين الكذب بيوم الدين كما في قوله سبحانه وتعالى : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) [٤] قال ابن كثير (فما يكذبك) أي يا أبن آدم (بعد بالدين) أي بالجزاء في المعاد ولقد عملت البداءة وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى فأي شئ يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟) [٥]

وجريمة الكذب حذر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه [١] قال : قال رسو ل الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ الصدق

---

(1) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري – المجلد الثالث – صفحة ٢٩١ .

(2) سورة المرسلات الآيات (٤٥ – ٤٨) .

(3) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطباعة (١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م) .

(4) سورة التين – آية رقم ٧

(5) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ٥٢٧ – الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطباعة (١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

(١) صحيح مسلم – المجلد الرابع – صفحة ٢٠١٣ – باب قبح الكذب وحسن الصدق – نشر وتوزيع رئاسة أدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعويدة – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .

برُّ ، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة ، وإن العبد ليتحرى الهدف حتى يكتب عندالله صدِّيقاً ، وإنَّ الكذب فجور وإن الفجور يهدي على النار ، وإنَّ العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذَّاباً) [٢]

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى سبباً من أسباب هلاك المجرمين في قوله سبحانه وتعالى : (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[٣]

قال أبن كثير (هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسمل في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال سبحانه وتعالى : (قل سيروا في الأرض ...) أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما أدخر لهم من العذاب الآليم في الآخرة وكيف نجى رسلة وعباده المؤمنين) [٤]

ومن أسباب هلاك المجرمين التكذيب بالحق كما حصل من اليهود عند إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (بلغ عبد الله بن سلام مقدمُ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ غلا نبي ، قال ما أوَّل أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شئ ينزع الولد إلى أبيه ، ومن أي شئ ينزعُ إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خبرِّني بهنَّ آنفاً جبريل.

---

[٢] صحيح مسلم – المجلد الرباع – صفحة ٢٠١٣ – باب قبح الكذب وحسن الصدق – نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .

[٣] سورة الأنعام – آية رقم ١١ .

[٤] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الثاني – صفحة ١٢٩ – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة التاسعة – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

قال فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان التنبه له ، وإذا سبق ماؤها كان التنبه لها ، قال اشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اليهود قوم بهتٌ ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ رجُلٍ فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا أعلمُنا وأبنُ أغلمنا ، وأخبرُنا وابن أخبرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله إليهم فقال : اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا : شرُّنا وابنُ شرّنا ، ووقعوا فيه) [1]

ومن أسباب هلاكهم العمل على تغير أحكام الله ومثال لذلك ما حصل من اليهود كما في الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (أن اليهود جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وأمرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما تجدون في التوراه في شأن الرجم ؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون ، فقال عبدالله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوارة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبدالله بن سلام إرفع

---

[1] صحيح البخاري – رقم الحديث ٣٣٢٩ – من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري – صفحة (٤١٧ – ٤١٨) الجزء السادس – دارالريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م . للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرجما)[1]

والكذب هو أصل كل فساد وإجرام كما ذكر ابن قيّم الجوزية [*] فقال (إياك والكذب ، فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه ، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس ، فإنَّ الكاذب يصور المعدوم موجوداً والموجود معدوماً ، والحق باطلاً والباطل حقاً ، والخير شرّاً والشر خيراً ، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبةً له ، ثم يصور ذلك ي نفس المخاطب المفتِّر به الراكن إليه ، فيفسد عليه تصوره وعلمه ، ونفس الكاذب مُعرضةً عن الحقيقة الموجودة ، نزَّاعةٌ إلى العدم / مؤثرةٌ للباطل ، وإذا فسدت عليه قوة تصُوره وعلمِهِ التي هي مبدأ كلِّ فعلٍ إراديٍّ ، فسدت عليه تلك الأفعال ، وسرى حكمُ الكذِبِ إليها ، فصار صدورُها عنه كصدور الكذب عن اللسان ، فلا ينتفعُ بلسانه ولا بأعماله ، ولهذا كان الكذبُ أساس الفجور ، وأولُ ما يسري الكذبٌ من النفس إلى اللسان فيفسه ، ثم يسري إلى الجوارح فيفسدُ عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله ، فيعمُّ الكذبُ أقواله وأعماله وأحواله ، فيستحكم عليه الفساد ويترامى داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواءِ الصدق يُقلَعْ تلك المادة من أصلها .

ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلِّها الصدقُ وأضدادُها من الرِّياء ، والعُجْبِ والكِبْرِ والفجر والخُيلاء والنظرِ والأسَرِ والعَجْزِ والكَسَل والجُبنْ والمهانة وغيرها

---

[1] صحيح البخاري – رقم الحديث ٣٦٣٥ – من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري – الجزء السادس – صفحة ٧٢٩ – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م .

[*] هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي – أبو عبدالله شمس الدين ابن قيم الجوزية – ولد بدمشق سنة ٦١٩ هـ – له تصانيف منها : مدارج السالكين ، الروح ، توفي سنة ٧٥١هـ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – تحقيق عماد عامر الجزء الأول – دار الحديث القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م (٦ – ٧) .

أصلُها الكذبُ فكلُّ عمل صالح ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤهُ الصدق ،وكلُّ عمل فاسدٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤهُ الكذب .

والله سبحانه وتعالى : (يعاقبُ الكذَّابَ بأنْ يُقْعِدَهْ ويثبِّطه عن مصالحه ومنافعة ، ويثبتُ الصادقَ بأن يوفّقَهُ للقيام بمصالح دنياه وآخرته ، فما اسْتُجْلبَتْ مصالحُ الدُّنيا والآخرةِ بمثل الصدق ، ولا مفاسِدُهما ومضارُّهما بمثل الكذِب) [١]

قال ابن كثير (قل يا محمد لهؤلاء أي المكذبين بالرسل وبما جاءهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رساله الكرام ومن أتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته)

ثم قال سبحانه وتعالى مسلياً لنبيه الكريم صلى الله عليه وسمل (ولا تحزن عليهم) أي المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) أي في كيدك ورد ما جئت به فإن الله مؤيدك وناصرك ونظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب) [٢]

ومما ذكره الله سبحانه وتعالى : (في كتابه تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) .[١]

ومن تكذيب المجرمين بالحق رفضهم أمر الله بالتوجه في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة كما في قوله سبحانه وتعالى : (سَيَقُولُ

---

(1) الفوائد للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيمِ الجوزيه (٦٩١ – ٧٥١ هـ ٩ تحقيق وتعليق عامر بن علي ياسين – دار أبنُ خُزيمة ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م) المملكة العربية السعودية – الرياض .

(2) تفسير ابن كثير – الجزء الثالث – صفحة ٢٧٣ – الناشر دار المعرفة – بيروت –ل بنان – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ .

(١) سورة الروم – آية رقم ٤٧ .

السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل للَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) .[٢]

قال ابن حجر في الفتح عن المجرمين فقال (أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة : رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنا على الحق ، وأما أهل النفاق فقالوا ، إن كان أولاً على الحق فالذي أنتقل إليه باطل وكذلك بالعكس ، وأما اليهود فقالوا ، خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف)[٣]

---

[٢] سورة البقرة – آية رقم ١٤٢ .

[٣] فتح الباري للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني – الجزء الثامن – صفحة ٢١ – قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه محب الدين الخطيب – راجعه قصي محب الدين الخطيب – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م – القاهرة .

الفصل الثاني

الظـــلم

الظلم في اللغة (وضع الشئ في غير موضعه ، ومن أمثال العرب في الشبَّه : من أشبه أباه فما ظلم ، وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحدَّ) [١]

ومن أسباب هلاك المجرمين الظلم ومنه هجر القرآن والدعوة إلى الضلال والكفر كما في قوله سبحانه وتعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً) [٢]

قال ابن كثير (أي كما حصل لك يا محمد من قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضين لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل نبيّ عدوا من المجرمين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم) [٣]

والظلم كان سبباً لهلاك المجرمين الذين كانوا قبل الأمة المحمدية فلهذا قصّ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قصصهم ليعتبر بها العباد عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه وتعالى : (أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ السُّوءَى أَن كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ) [٤]

---

(1) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – يتحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١م ، المجلد الثاني عشر – صفحة ٣٧٣ .

(2) سورة الفرقان – آية رقم ٣١ .

(3) تفسير القرآ العظيم لأبن كثير – الجزء الثالث – صفحة ٣١٧ ، الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

(4) سورة الروم – الآيات رقم (٩ – ١٠) .

قال ابن كثير في الآية السابقة (كانت الأمم الماضية والقرون السالفة اشد منكم قوة أيها المبعوث إلهيم محمد صلى الله عليه وسلم وأكثر أموالاً وأولاداً ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ومكنوا في الدنيا تمكينا لم يبغوا إليه وعمروا فيها أعماراً طوالا فعمروها أكثر منكم ، واستغلوها أكثر من استعلاكم ، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وراق ، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله سبحانه وتعالى ، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحلّ بهم من العذاب والنكال (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي إنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واشتهذءوا بها وما زال إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم) [١]

ومن ظلم المجرمين نسيان ذكر الله سبحانه وتعالى جل وعلا كما في قوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [٢] قال بن كثير (لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذي ينفعكم في معادكم فإن جنس الجزاء من جنس العمل) [٣]

والظلم من أفعال المجرمين ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسال الله أن يبعده من الظلم كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه

---

(1) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الثالث – صفحة ٤٢٧ – الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

(2) سورة الحشر – آية رقم ١٩ .

(3) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ٣٤٢ ، الناشر دار المعرفة – بيروت –ل بنان – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

وسلم كان يقول ك (اللهم إني أعوذ بك من الفقر ، والقلة ، والذَّلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم) [١]

ومن ظلم المجرمين السعي لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، كا جاء عن عروة ، قالت عائشة رضي الله عنها (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أو أن وجدت أنقطاع أبهري من السم) [٢]

وقد قال محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (الظلم والعدوان منافيين للعدل الذي به قامت السموات والارض ، وأرسل الله سبحانه وتعالى رسله عليهم والصلاة والسلام وأنزل كتبه ليقوم الناس به كان من أكبر الكبائر عند الله ، وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه ، وكان قتل الإنسان ولده الطفل الصغير الذي لا ذنب له ، وقد جبل الله سبحانه والقلوب على محبته ورحمته وعطفها عليهم ، وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة ، فقتله خشية أن يشاكرة في مطعمه ومشربه وماله ، من أقبح الظلم وأشده وكذلك قتله أبويه اللذين كانا سبب وجوده ، وكذلك قتله ذا رحمه ، وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله للسعي في إبقائه ونصيحته ، ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة ن قتل نبياً أو قتله نبي ويليه من

---

[١] سنن أبي داود – للإمام الحافظ أبي داود سليمان ابن الأشعث السبستاتي الأزدي – رقم الحديث ١٥٢٤ . صفحة (١٩٠ – ١٩١٩) إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس – الجزء الثاني – دار الحديث – طباعة ونشر وتوزيع – حمس – سوريا – الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م – ١٩٧٠م .

[٢] صحيح البخاري – رقم الحديث ٤٤٢٨ – من كتاب فتح الباري – الجزء السابع – صفحة ٧٣٧ – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م .

قتـل إمامـاً أو عالمـاً يـأمر النـاس بالقسـط ، ويـدعوهم إلـى الله سـبحانه وتعـالى ، وينصحهم في دينهم) [١]

وقد كثر الظلم في عهد الجاهلية وجاء ذلك في أشعارهم ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى في معقلته :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه

يُهَّدم ومن لا يظلم الناس يُظلم [٢]

ومن ذلك حاء في معلقة طرفه بن العبد إذ يقول :

وظلم ذوي القربي أشد مضاضةً

على المرء من وقع الحُسام المهند [٣]

---

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ – دار الرشد للنشر والتوزيع – الرياض – صفحة ١٧١ .

(2) معلقة زهير بن أبي سلمى هو زهير بن أبي سلمى من مزينة ، كان مشهوراً برزانته وحبه للسلام ، وقد نظم معلقته ،لى أثر الحرب التي دارت رحاها بين عبس وفزارة – صفحة ٩٨

شرح المعلقات السبع – تأليف أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

(3) معلقة طرفه بن العبد – صفحة ٨٩ – شرح المعلقات السبع – تأليف أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

الفصل الثالث

الهوى

الهوى :

ومن أسباب هلاك المجرمين أتباع الهوى كما قال سبحانه وتعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ)[١]

قال ابن كثير في قوله سبحانه وتعالى : (أفرأيت من أتخذ إلهه هواه) (أي إنما يأتمر بهواه) مهما رآه حسنا فعله ومهما رأه قبيحاً تركه (واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أي فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به ولا يرى حجة يستضئ بها ، ولهذا قال سبحانه وتعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)[٢]

قال سبحانه وتعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)[٣] قال المفسر الزمخشري (من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويزر لا يتبصر دليلاً ولا يصغى على برهان ، فهو عابد هواه وجاعله إلهه ، فيقول الرسوله هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام)[٤]

---

(1) سورة الجأثية – آية رقم ٢٣

(2) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ١٥٠ ، دار المعرفة – بيروت – لبنان – (١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

(3) سورة الفرقان – آية رقم ٤٣ .

(4) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري – المجلد الثالث – صفحة ٢٧٤ – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن أتباع الهوى يضل عن سبيل الله ، فقال (يدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ)[1]

قال ابن الجوزي عن الهوى (إن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه ، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل ، وإلى المشرب ما شرب ، وإلى المنكح ما نكح ، وكذلك كل ما يشتهيه ، فالهوى مستجلب له ما يفيد ، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي ، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق ، وإنما يذم المفرط من ذلك ، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار) [2]

ومن مضار الهوى يقود إلى الجهل والضلال ومخالفة الحق كما قال ابن الجوزي (وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم)[3]

وأتباع الهوى يميت القلب وقد قال ابن قيم الجوزية في ذلك (القلب الميت الذي لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه ، رضي ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله : حباً ، وخوفاً ، ورجاء ، ورضا ، وسخطا وتعظيما ، وذلاً . إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ،

---

[1] سورة ص – آية رقم ٢٦

[2] ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الناشر دار الكتب الحديثة – لتوفيق عفيف بمصر بتحقيق مصطفى عبدالواحد – مراجعة محمد الغزالي – الطبعة الأولى – ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢م ، صفحة ١٢ – ١٣ .

[3] ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي – الناشر دار الكتب الحديثة – لتوفيق عفيف بمصر بتحقيق مصطفى عبدالواحد – مراجعة محمد الغزالي – الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ – ١٩٦٢ – صفحة ١٦ .

وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبة ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، ويسكره الهوى وحب العاجلة مخمور ، ينادي إلا الله وإلى الدار الأخرة من مكان بعيد ، فلا يستجيب للناصح ،ويتبع كل شيطان مريد ، الدينا تسخطه وترضيه – والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه) [١]

واتباع الهوى يمنع من الاستجابة للحق كما في قوله سبحانه وتعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٢]

قال الزمخشري (إنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا أتباع الهوة ، ثم ثال (من أضل ممن) لا يتبع في دينه إلا (هواه بغير هدى من الله) أي مطبوعا على قلبه ممنوع الألطاف (إن الله لا يهدي) أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم) [٣]

وتقديم الهوى على العقل فتنة كما قال ابن قيم الجوزية (وأصل كل فتنة إنما هومن تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على العقل ، فالأول : أصل فتنة الشبهة ، والثاني : أصل فتنة الشهوة ، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى إمامة الدين منوطة

---

[١] أغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد سعيد كيلاني – الجزء الأول – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – القاهرة في ٢٥ محرم سنة ١٣٨١هـ ٨ يوليو سنة ١٩٦١ ، صفحة ١٥ .

[٢] سورة القصص – آية رقم (٥٠)

[٣] تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري – المجلد الثالث صفحة ٤٠٧ – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

بهذين الأمرين) [١] فقال : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [٢]

إن أتباع المجرم للهوى يورث الجهل والضلال كما قال ابن تيمية (من أعرض عن أتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح)[٣]

واتباع الهوى يؤدي إلى عدم التميز بين الخير والشر كما قال ابن تيمية [٤] (إن الإنسان إذا صار لا يسمع بأذنه ولا يبصر بعينه ولا ينطق بسلانه كان ذلك مرضاً مؤلماً له يفوته من المصالح ويحصل له من المضار فكذلك إذا لم يسمع ولم يبصر ولم يعلم بقلبه الحق من الباطل ،ولم يميز بين الخير والشر ، والغي والرشاد ، كان ذلك من أعظم أمراض قلبه وألمه).[٥]

وأما حال متبعي الهوى فهم في سفر إلى دار الشقاء كما قال ابن قيم الجوزية (فقسم قطعوها مسافرين فيها إلى دار الشقاء ، فكلما قطعوا منها مرحلة قربوا من تلك الدار وبعدوا عن ربهم وعن دار كرامته ، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداته ومعادة رسله وأوليائه ودينه والسعي في إطفاء نوره وإبطال دعوته وإقامة

---

[١] أغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – تأليف الإمام الحافظ أبن قيم الجوزية تحقيق محمد سعيد كيلاني – الجزء الثاني – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ – ١٩٦١م – صفحة ١٦٢ .

[٢] سورة السجدة – آية رقم ٢٤ .

[٣] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد ، المجلد العاشر – علم السلوك – صفحة ١٠ .

[٤] أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني أبو العباس شيخ الإسلام ولد سنة ٦٦١ هـ وتوفي سنة ٧٢٨ هـ صاحب التصانيف منها مجموع فتاواه في ٣٧ مجلد – أنظر ذيل طبقات الحنابلة (٢ م ٣٨٧ – ٤٠٨) .

[٥] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عدبالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد – المجلد العاشر – صفحة ١٤١ .

دعوة غيرها ، فهؤلاء جعلت أيامهم يسافرون فيها إلى الدار التي خلقوا لها واستعملوا بها ، فهم مصحوبون فيها بالشيطاطين الموكلة بهم يسوقونهم إلى منازلهم سوقاً)[1]

ومتبع الهوى فيه ست صفحات تكون سبباً لدخوله جهنم وهي كا ذكرها ابن قيم الجوزية (الأولى أنه كفار لنعم الله وحقوهه : كفار بدينه وتوحيده واسمائه وصفاته : كفار برسله وملائكته : كفار بكتبه ولقائه ، الثانية أنه معاند للحق بدفعه جحداً وعناداً ، الثالثة أنه مناع للخير وهذا يعم منعه للخير الذي هو إحسان إلى ن نفسه من الطاعات والقرب إلى الله والخير الذي هو إحسان إلى الناس فليس فيه خير لنفسه ولا لبني جنسه كما هو حال أكثر الخلق ، الرابعة أنه مع منعه للخير معند على الناس ظلوم غشوم معتد عليهم بيده ولسانه ، الخامسة أنه مريب أي صاحب ريب وشك ومع هذا فهو آت كلل ريبة يقال فلان مريب إذا كان صاحب ريبة ، السادسة أنه مع ذلك مشرك بالله قد اتخذ مع الله إلهاً أخر يعبده ويحبه ويغضب له ويرضى له ويحلف باسمه وينذر له ويوالي فيه ويعادي فيه فيختصم هو وقرينه من الشيطاين ويحيل الامر عليه وأنه هو الذي أطغاه وأضله فيقول قرينه لم يكن لي قوة أن أضله وأطفيه ولكن كان في ضلال بعيد أختاره لنفسه وأثره على الحق) [1]

والذي يتبع الهوى فيه عدم خوف من الله ولهذا يقول أحمد بن تيمية : (فإن الإنسان إذا لم يخف من الله أتبع هواه ، ولا سيما إذا كان طالباً ما لم يحصل له ، فإن نفسه تبقى طالبة لما تستريح به وتدفع به الغم والحزن عنها ، وليس عندها من ذ

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين – تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م . صفحة ١٨٦ .

[1] الفوائد لأبن قيم الجوزية – صفحة ١١ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأخيرة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م – بيروت – لبنان .

ر الله وعبادته ما تستريح إليه وبه ، فيستريح إلى المحرمات من الفواحش وشرب المحرمات وقول الزور) [٢]

واتباع الهوى فيه ظلم من المجرمين كما قال سبحانه وتعالى : (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَهْوَآءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ)[٣]

يقول سيد قطب عن المجرمين وتناقضهم (وعند هذا الحد من عرض تناقضهم في دعوى الشرك المتهافته ، يكشف عن العلة الأصلية في هذا التناقض المريب : إنه الهوى الذي لا يستند على عقل أو تفكير : والهوى لا ضابط له ولا مقياس، إنما هو شهوة النفس المتقلبة ونزواتها المضطربه ، ورغباتها ومخاوفها ، وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق ولا تقف عند حد ولا تزن بميزان . وهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى والشرود الذي لا ترجى معه أوبه : (فمن يهدي من أضل الله) نتيجة لاتباعه هواه (ما لهم من ناصرين) يمنعونهم من سوء المصير) [١]

وأتباع الهوى يؤدي إلى فساد السموات والأرض ومن فيهن لقوله سبحانه وتعالى : (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ) [٢]

---

[٢] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالمرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد – المجلد الاٰل – صفحة ٥٤ – ٥٥ – طبع على مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .

[٣] سورة الروم ، آية رقم ٢٩ .

[١] في ظلال القرن بقم سيد قطب – المجلد الخامس – صفحة ٢٧٦٧ – دا رالشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

[٢] سورة المؤمنون – رقم الآية ٧١ .

قال محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي في الآية السابقة (أختلف العلماء في المراد بالحق في هذه الآية ، فقال بعضهم : الحق هو الله سبحانه وتعالى ، ومعلوم أن الحق من اسمائه الحسنى ، وكون المراد بالحق في الآية ، هو الله عزاه القرطبي للأكثرين ، وعلى هذا القول فالمعنى : لو أجابهم الله إلى تشريع ما أحبوا تشريعه وإرسال من اقترحوا إرساله ، بأن جعل أمر التشريع وإرسال الرسل ونحو ذلك تابعاً لأهوائم الفاسدة وشهواتهم الباطلة ، لا يمكن أن تقوم عليها السماء والأرض وذلك لفساد أهوائهم ، واختلافها ، فالأهواء الفاسدة المختلفة لا يمكن أن يقوم عليها نظام السماء والأرض ومن فيهن ، بل لو كانت هي المتبعة لفسد الجميع ، ومن الآيات الدالة على أن أهوائهم لا تصلح ، لأن تكون متبعة قوله سبحانه وتعالى : (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [٣] لأن القرآن لو أنزل على أحد الرجلين المذكورين ، وهو كافر يعبد الأوثان فلا فساد أعظم من ذلك .

القول الثاني : أن المراد بالحق في الآية : الحق الذي هو ضد الباطل المذكور في قوله سبحانه وتعالى : (وأكثرهم للحق كارهون) وعلى هذا القول فالمعنى : أنه لو فرض كون الحق متبعاً لأهوائهم ، التي هي الشرك بالله ، وادعاء الأولاد ، والأنداد له ونحو ذلك : لفسد كل شئ لأن هذا الغرض يصير به الحق هو أبطل الباطل ، ولا يمكن أن يقوم نظام السماء والأرض على شئ هو أبطل الباطل ، لأ، استقامة

---

[٣] سورة الزخرف – آيه رقم ٣١ .

نظام هذا العالم لاتمكن إلا بقدرة وإرادة إله هو الحق منفرد بالتشريع ، والأمر والنهي كما لا يخفى على عاقل) [1]

وقد ذم الله سبحانه وتعالى الهوى في قوله تعالى : (قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ) [2] قال الإمام البغوي [3] وفي قوله سبحانه وتعالى : (قل يأ اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لاتتجاوزا الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين ، وقوله ٠ غير الحق) أي : في دينكم المخالف للحق ، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم ، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه ، (ولا تتبعوا أهواء قوم) والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعوا إليه شهوة النفس (قد ضلوا من قبل) ، يعني : رؤوساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى ، والخطاب للذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم نهوا عن أتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم ، (وأضلوا كثيراً) ، يعني : من أتبعهم على أهوائهم ، (وضلوا عن سواء ا لسبيل) ، عن قصر الطريق : أي : بالإضلال فالضلال الأول من الضلالة ، والثاني بإضلال من أتبعهم).[1]

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفي في ١٣٩٣/١٢/١٧ هـ رحمه الله – الجزء الخامس – صفحة ٨٠٣ – ٨٠٥ العام ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

[2] سورة المائدة – آية رقم ٧٧ .

[3] هو أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرَّاء البغوي ، الفقيه ، الشافعي ، المحدِّث ، المفسِّر ، توفي سنة ٥١٠ هـ التفسير والمفسرون ، تأليف الدكطتور محمد حسين الذهبي ، الجزء الأول ، الناشر مكتبة وهبه – القاهرة – الطبعة السادسة ، ١٤١٦ هـ : ١٩٩٥م – صفحة ٢٤٥ .

[1] تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الغراء البغوي الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ هـ – الجزء الاثني – صفحة ٤٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

الفصل الرابع

ظـن السـوء

ومن أسباب هلاك المجرمين ظن السوء بربهم سبحانه وتعالى : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ) [١]

قال ابن قيم الجوزية عن اليهود والنصارى الذين ظنوا بربهم ظن السوء (إن اليهود إنما أتوا من فساد الإرادة والحسد وإيثار ما كان لهم على قومهم ، من السُّحت والرياسة مخافوا أن يذهب بالاسلام ، فلم يؤتوا من عدم العلم الحق فإنهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، ولهذا لم يوبخهم الله سبحانه وتعالى ويقرعهم غلا بارادتهم الفاسدة ، من الكبر والحسد وإيثار السحت والبغي وقتل الأنبياء ، ووبخ النصارى بالضلال والجهل الذي هو عدم العلم بالحق)[٢]

وحسن الظن يستوجب العمل كما قال ابن قيم الجوزية (إن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان) فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ، ويقبل توبته ، وأما المسئ المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه ، وهذا موجود في الشاهد ، فإن العبد لآبق المسئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً ، فإن المسئ مستوحش بقدر إسائته ، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له ، وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه ،

---

(1) سورة فصلت – آية رقم ٢٣ .

(2) الضوء المنير على التفسر – من كتب شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية – الناشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام – الرياض – المجلد الأول – جمع على الحمد المحمد الصالحي – صفحة ١٣٣ .

حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه ، متعرض للعنته ، قد هان حقه وأمره عليه فاضاعه ، وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه ؟ وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربه ، وعادى أولياءه ، ووالى أعداءه ، وحجر صفات له ، وأساء الظن بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر ؟ وكيف يحسن الظن بمن يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا يرضى ولا يغضب ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول : (وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم كثيراً مما يعلمون كان هذا إساءة لظنهم بربهم ، فأرداهم ذلك الظن ، وهذا شأن كل من حجر صفات كما له ونعوت جلاله ، ووصفه بما لا يليق به ، فإذا ظن ÷ذا أنه يدخله الجنة كان غروراً وخداعاً من نفسه وتسويلا من الشيطان ، لا إحسان ظن بربه .

فيا الله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم ، فإن كان ينفعهم قولهم : حسنا ظنوننا بكل إنك لم تعذب ظالما ولا فاسقاً ، فليصنع العبد ما شاء ، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه ، وليحسن ظنه ابلله ، فإن النار لا تمسه ، فسبحان الله ! ما يبلغ الغرور بالعبد ، وقد قال إبراهيم عليه السالم لوقمه (أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (١)

أي ما ظنكم به أن يفعل بكم إذا لقيمتوه وقد عبدتم غيره .

ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه ، فإن العبد إنما يحمل على حسن ظنه بربه أنه يجازيه على أعماله ويثيبه

(1) سورة الصافات – آية رقم ٨٦ – ٨٧

عليها ويتقبلها منه ، فالذي حمله على حسن العمل حسن الظن ، فكلما حسن ظنه بربه حسن عمله ، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز .

والجملة فحسن الظن إنما يكون مع أنعقاد أسباب النجاة ، وأما مع أنعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتي إحسان الظن ، فإن قيل : بل يتأتى ذلك ، ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده ،وأن رحمته سبقت غضبه ، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو .

قيل الأمر هكذا ، والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحمن ، ولكن إنما يضع ذلك في مجلة اللائق به ، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام ، وشدة البطش ، وعقوبة من يستحق العقوبة ، فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر ، والمؤمن والكفار ، ووليه وعدوه ، فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته وقد جاء بسخطه وغضبه ، وتعرض للعنته ، ووقع في محارمه ، وأنتهك حرماته ، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع ، وبدل السيئة بالحسنة ، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا حسن الظن)[1]

إن بعض المجرمين من سوء ظنهم قالوا إن ما جاء به الرسول صلى الله عيه وسلم سبباً للمصائب التي حلت بهم ، ويقول ابن تيمية راداً عليهم (إن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس سبباً لشئ من المصائب ، ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة ، بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة ، ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب سبب ذنوبهم

---

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ دار الرشد للنشر والتوزيع – الرياض .

، لا بما أطاعوا فيه الله والرسول كما لحقهم يوم أُحد بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ما ابتلوا به في السراء والضراء والزلازل ليس هو بسبب نقص إيمانهم وطاعتهم ،لكن امتحنوا به ، ليتخلصوا مما فيهم من الشر وفتنوا به كما يفتن الذب بالنار ، ليتميز طيبه من خبيثه ، والنفوس فيها شر ولا امتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه) [1]

ومن أسباب هلاك المجرمين ظن السوء بالله كما في قوله سبحانه وتعالى : (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً)[2]

يقول الإمام سيد قطب في الآية السابقة (وقد جمع النص بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة ظن السوء بالله ، وعدم الثقة بنصرته للمؤمنين وفي أنهم جميعاً) (عليهم دائرة السوء) فهم محصورون فيها ، وهي تدور عليهم وتقع بهم ، وفي غضب الله عليهم ولعنته لهم ، وفيما أعده لهم من سوء المصير ، ذلك أن النفاق صفة مزذولة لا تقل عن الشرك سوءاً ، بل إنها أحط ، ولأن أذى المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين ولامشركات ، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه ، وقد جعل الله فة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله ، فالقلب المؤمن حسن الظن بربه ، يتوقع منه الخير دائماً ، يتوقع منه الخير في السراء والضراء ، ويؤمن بان الله يريد به الخير في الحالين ، وسر ذلك أن قلبه موصول بالله ، وفيض

---

[1] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد ، المجلد الرابع عشر – صفحة ٢٥٤ – ٢٥٥ – طبع على مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

[2] سورة الفتح – آية رقم ٦

الخير من الله لا ينقطع أبداً ، فمتى أتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصلية ، وأحسها إحساس مباشرة وتذوق .

فأما المنافقون والمشركون فهم مقطوعوا الصلة ابلله ، ومن ثم لا يحسون تلك الحقيقة ولا يجدونها ، فيسوء ظنهم الله ، وتتعلق قلوبهم بظواهر الأمور ، ويبنون عليها أحكامهم ، ويتوقعون الشر والسوء لأنفسهم وللمؤمنين ، كلما كانت ظواهر الأمور توحي بهذا ، على غير ثقة بقدر الله وقدرته ، وتدبيره الخفي اللطيف) [١]

ومن أسباب هلاك المجرمين سوء ظنهم بنصرة الله للمؤمنين كما قال سبحانه وتعالى : (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً) [٢]

يقول سيد قطب في الآية السابقة : (وقد ظنوا أن الرسول صلى الله عيه وسلم ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم ، فلا يرجعون إلى أهليهم بالمدينة وقالوا يذهب الي قوم قد غزوه في عقر داره بالمدنية ، وقتلوا أصحابه فيقاتلهم يشيرون الي أحد والأحزاب ولم يحسبوا حساباً لرعاية الله وحمايته للصادقين المتجردين من عباده كما أنهم بطبيعة تصورهم للأمور وخلو قلوبهم من حرارة العقيدة لم يقدروا أن الواجب هو الواجب ، بغض النظر عن تكاليفه كائنة ما كانت وأن طاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم يجب أن تكون بدون النظر الي الربح الظاهري والخسارة الشكلية فهي واجب مفروض يؤدي دون نظر الي عاقبة أخري وراءه لقد ظنوا ظنهم وزين هذا الظن في قلوبهم حتى لم يروا غيره ولم يفكروا في سواه وكان

---

(1) في ظلال القرن – بقلم سيد قطب – المجلد السادس – صفحة ٣٣١٩ – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشعية الثلاثون ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

(2) سورة الفتح – آية رقم ١٢

هذا هو ظن غير السوء بالله ، الناشي في أن قلبوهم بور وهو تعبير عجيب موح فالأرض البور ميتة جرداء وكذلك قلوبهم وكذلك هم بكل كيانهم بور لا حياة ولا خصب ولا ثمار وما يكون القلب إذ يخلو من حسن الظن بالله ؟ لأنه انقطع عن الاتصال بروح الله ؟ يكون بوراً ميتاً أجرد نهايته الي البوار والدمار وكذلك يظن الناس بالجماعة المؤمنة الناس من أمثال أولئك الأعراب المنقطعين عن الله ، البور الخالية قلوبهم من الروح والحياة هكذا يظنون دائماً بالجماعة المؤمنة عندما يبدون أن كفة الباطل هي الراجحة ، وأن قوى الأرض الزاهرة في جانب أهل الشر والضلال وأن المؤمنين قلة في العدد أو قلة في العدة ، أو قلة في المكان والجاه والمال ، هذكا يظن الأعراب وأشباههم في كل زمان أن المؤمنين لا ينقلبون الي أهليهم أبدا إذا هم واجهوا الباطل المنتفش بقوته الزاهرة ومن ثم يتجنبون المؤمنين حباً للسلامة ويتوقعون في كل لحظة أن يستأصلو وأن تنتهي دعوتهم فيأخذون هم بالأحوط ويبعدون عن طريقهم المحفوف بالمهالك ولكن الله يخيب ظن السوء هذا ، ويبدل المواقف والاحوال بمعرفته هو وبتدبيره هو وحسب ميزان القوى الحقيقية)[1]

[1] في ظلال القران ، بقلم سيد قطب ، المجلد السادس ، ص ٣٣٢٢ ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الشرعية الثلاثون ، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م